آليات الوظيفة التمييزية للفونيم في اللغة العربية

Mechanisms of the discriminatory function of the phoneme in Arabic language

الطالب/ محمد بولخطوط

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة محمد لمين دباغين- سطيف2 (الجزائر)
mohammed.boulekhtout@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/09/08 تاريخ القبول: 2020/04/30

ملخص:

كثيرة هي العناصر اللغوية التي تتحكّم في تغيّر الدلالة على مستوى لغتنا العربية، ولعلّ الفونيم واحد من هذه العناصر التي لها دور بارز في تحديد المعنى، والتمييز بين دلالات الألفاظ؛ سواء أكان ذلك من خلال استبدال فونيم صامت بفونيم صامت آخر، مع الاحتفاظ بحركة المُبْدَل أو تغييرها، أم عن طريق تغيير موقع الصامت داخل اللفظة الواحدة، كما قد يتمّ تغيير المعنى من خلال تغيّر حركة صامت ما بحركة أخرى على مستوى المونيم المفرد، وغيرها من الأساليب التي تعمل عملها في تحديد المعنى، وهذا ما يعرف بالوظيفة التمييزية. من هنا يمكن التساؤل فنقول: فيم تكمن آليات هذه الوظيفة التي يؤديها الفونيم؟

الكلمات المفتاحية: الفونيم، الصامت، الصائت، الوظيفة التمييزية، المعنى.

Abstract:

There exists a variety of means which control the changing of the meaning in the Arabic language. The phoneme, being one of these means, has a prominent role in specifying and differentiating between the meanings of different terms. Whether by substituting one silent letter for another (keeping and/or changing the vowel quality of the substituted silent), or by shifting the position of the silent letter within the same term. Moreover, the meaning can be changed through shifting the vowel quality of a given silent letter within the same phoneme, as well as other ways that contribute in specifying the meaning, That's what we call the discriminatory function. From here, we can ask: What are the mechanisms of this function that phoneme performs?

Key words: The phoneme, Consonant, Vowel, the discriminatory function, the meaning .

مقدمة:

يعدّ "الفونيم" من بين المصطلحات الغربية التي شغلت فكر وتصوّر الكثير من علماء الغرب والعرب، ولعلّ نشأته كما تشير أغلب المصادر والكتب قد كانت على يد العالم واللغوي السويسري "فرديناند دي سوسير"، ولا حاجة لنا هاهنا إلى تأريخٍ لحياه هذا المفهوم، وتتبّع مراحل نموه ونشأته مرحلة مرحلة، بقدر ما نحن بحاجة إلى الوقوف على ماهيته ووظيفته في النظام اللغوي. فمن المعروف بأنّ "الفونيم" هو العنصر الصوتي الرئيس الذي يشكّل موضوع علم الأصوات الوظيفي، وهو مصطلح معقّد وتكمن علّة تعقيده في: «اختلاف وجهات نظر علماء الأصوات واللغة تجاهه، فمنهم من نظر إليه من زاوية عضوية فسيولوجية، ومنهم من نظر إليه من الناحية السمعية ونظر إليه آخرون من جانب نفسي أو عقلي صرف، وهناك من حدّد تصوّره له بالنظر إليه من طبيعته المادية الفيزيائية، وآخرون إلى وظيفته، وهناك من كانت زاوية نظره إليه تجريدية محضة، في المقابل فضّل بعضهم أن يجمع بين بعض هذه الجوانب أو كلّها في تحديده».[1]

نتيجة لهذه الاختلافات والتضاربات تعدّدت المفاهيم والمصطلحات التي وُضعت للفونيم، شأنه في ذلك شأن معظم المصطلحات، صاغها علماء الأصوات كلٌ حسب طريقته ومنهجه في البحث اللغوي، هذا ولا نريد في هذا البحث أن نطيل الحديث أو أن نقف عند كلّ هذه المصطلحات، كما لا يسعنا المقام هاهنا للتعرّض إلى جميع التعريفات التي أعطيت لهذا المصطلح كلٌ على حدة؛ لكثرتها أولا ولتنوعها ثانيا، لذا سنختار مجموعة منها تكون بينها علائق وتواشجات، لا لأيّ غرض سوى للإيجاز والتبسيط.

1 ـ مفهوم الفونيم:

*** عند "فرديناند دي سوسير":** يعرّف الفونيم قائلا: «هو الحصيلة النهائية للانطباعات السمعية وحركات النطق، وهو الأثر المتبادل للوحدات السمعية والوحدات المنطوقة، إذن فهو وحدة مركّبة لها جدر في السلسلة المنطوقة، وآخر في السلسلة السمعية. إنّ العناصر التي نحصل عليها أولا عند تقسيم السلسلة المنطوقة تشبه الحلقات في السلسلة، فهي لحظات لا يمكن اختصارها، كما لا يمكن دراستها خارج الوقت الذي تشغله».[2]

يُفهم من خلال هذا التعريف أنّ تحديد "الفونيم" عند "دي سوسير" يقوم على ركيزتين أساسيتين هما: الجهاز النطقي أولا والجهاز السمعي ثانيا، ولأجل ذلك وصف "الفونيم" بأنّه وحدة مركّبة، وكأنّه بذلك ينتقد من كان اعتماده في تحديد "الفونيم" على الجانب النطقي دون الجانب السمعي أو العكس.

إذن فـ "الفونيم" في نظر "دي سوسير" هو مفهوم مركّب، ولا يمكن تحديده بالاعتماد على الجانب العضوي فحسب، بل ينبغي لمن أراد تحديد هذا المفهوم أن يقف على خصائص الفونيمات الصوتية بعد تلقّيها أو سماعها؛ ذلك أنّ الاعتماد على الجانب السمعي ضروري في معرفة الوحدات الصوتية، وبدونه لا يمكن تحديدها بدقّة، ولعلّ هذا ما يؤكّده حينما يضيف قائلا: «يقتصر عمل كثير من علماء النظام الصوتي على العملية الصوتية، أي إنتاج الأصوات عن طريق الأجهزة الصوتية (كالحنجرة والفم وغيرهما)، ويهملون الجانب السمعي، إنّ هذه الطريقة غير صحيحة، فالانطباع السمعي يصلنا بصورة مباشرة كما تصل الصورة التي تنتجها الأعضاء الصوتية، أضف إلى ذلك أنّ الانطباع السمعي هو أساس أيّة نظرية صوتية (...)، إنّ الأذن تخبرنا عن الصوتين: ت، ب وغيرهما، فحتى لو استطعنا تصوير حركات الفم والحنجرة عند النطق بسلسلة من الأصوات، فإنّنا لن نستطيع أن نميّز التقسيمات الفرعية لحركات النطق؛ فلن نستطيع أن نعرف أين يبدأ صوت ما، وأين ينتهي الصوت الآخر؟ ولولا الانطباع السمعي ما استطعنا أن نقول على سبيل المثال إن: Fal تتكوّن من ثلاث وحدات وليس من وحدتين أو أربع وحدات ...»،[3]

* **عند "رومان جاكبسون"**: يعرّف "الفونيم" بقوله: «إنّ الفونيم هو الكيان اللغوي الوحيد من دون مضمون مفهومي، وهو ليس ذا معنى بذاته، إنّما هو أداة تساعد على التمييز بين المعاني».[4]

ويقول أيضا في موضع آخر: «إنّ الفونيم عنصر يساعد على إبراز المعنى، إلّا أنّه هو ذاته خُلْوٌ من المعنى، إنّ ما يميّزه من كلّ العناصر أو المكوّنات اللغوية وبصورة أكثر عمومية من كلّ القيم السيميوطيقية، هو كونه رمزا سلبيا فقط».[5]

هذان التعريفان مكمّلان لبعضهما البعض، ومفادهما أنّ "الفونيم": هو أصغر وحدة صوتية في نظام اللغة، وقد حدّد "جاكبسون" من خلالهما الوظيفة التي يؤديها الفونيم في الكلام، فعلى الرغم من كونه أصغر وحدة صوتية ليس له دلالة في ذاته، إلّا أنّه قادر على تغيير المعنى، وذلك بطرق وآليات شتّى سيأتي الحديث عنها في مكانها إن شاء الله تعالى.

ولعلّ هذا هو التعريف ـ أي التعريف الوظيفي ـ الذي لقي رواجا كبيرا، وقبولا من لدن الباحثين العرب، فها هو مثلا الباحث الجزائري "مصطفى حرْكات" يعرّفه قائلا: «هو أصغر وحدة واردة في السلسلة الكلامية محدّدة بصفاتها المميّزة، وقد تختلف الصفات المميّزة للفونيم الواحد من لغة إلى أخرى؛ فالباء في الفرنسية توصف بالجهر لأنّ في الثنائية

(pas ;bas): يفرّق الجهر بين كلمتين، بينهما انعدام حرف مهموس له باقي صفات الباء في العربية يجعل هذا النوع من التقابل غير ممكن».[6]

إلى الاتجاه نفسه يذهب "عبد القادر عبد الجليل"، حيث يعرّف "الفونيم" بأنّه: «أصغر وحدة صوتية تفرّق بين المعاني: جَلَبَ، حَلَبَ، فالجيم والحاء هما اللذان يفرّقان بين معنى التركيب الأوّل والتركيب الثاني».[7]

كما تعرّفه "نور الهدى لوشن" بقولها: «هو أصغر وحدة صوتية يتغيّر بها معنى الكلمة إذا استبدلت بوحدة أخرى، وهو ذو شكل صوتي ليس له معنى في ذاته، وإنّما هو ذو سمات تمييزية؛ فالفونيم وحدة صوتية وظيفية».[8]

إذن فجميع هذه التعريفات تشير إلى الطابع الوظيفي للفونيم، والمتمثّل في الوظيفة التمييزية للغة، ويتّفق مع هؤلاء "حاتم صاح الضّامن"، غير أنّه يأتي بشيء جديد حول مفهوم "الفونيم"، يقول: «الفونيم أصغر وحدة صوتية مجرّدة تمايزية، لا تحمل بحدّ ذاتها أيّ معنى، يكون الحركة الثانية في الانبناء المزدوج، ويمكن عدّه مجموعة من السمات التمايزية المتّحدة فيما بينها».[9]

فـ "حاتم صالح الضّامن" في هذا التعريف يحدّد لنا الوظيفة التمييزية "للفونيم"، كما يشير كذلك إلى ظاهرة لغوية أهملتها التعريفات السابقة الذكر، وهي ما يعرف في اللسانيات الوظيفية لـ "أندري مارتنيه" بـ: "التقطيع المزدوج" (La Doublé Articulation)، والذي ينبني على مستويين أساسيين أوّلهما: «التقطيع على مستوى الوحدات الدالة، والتي تعرف بالمصطلح الغربي"مونيم"، وبالمصطلح العربي "لفظم"، وهي الوحدات الدالة التي تقبل التحليل إلى وحدات غير دالة وهي الفونيمات، ويقابلها في الاصطلاح العربي مصطلح الصواتم، وهي التي تمثّل المستوى الثاني من التقطيع المزدوج».[10]

وهذا ما أشار إليه "حاتم الضّامن" بقوله: (يكون ـ أي الفونيم ـ الحركة الثانية...)؛ أي يمثّل المستوى الثاني من الانبناء (التقطيع) المزدوج.

و"الفونيم" مصطلح غربي قوبل في الحوض المعرفي العربي كما أسلفنا بعدّة مصطلحات، منها: الصوتم، الصوت، الصوت اللغوي، الوحدة الصوتية، الوحدة الفونيمية، ...الخ، وهناك من جعله مقابلا للحرف، ومن هؤلاء "رمضان عبد التوّاب"، يقول هذا الأخير: «هذه الأصوات المختلفة التي يُعَبَّرُ عنها في الكتابة برمز واحد، ولا تستخدم في اللغة للتفريق بين المعاني المختلفة، هي ما يطلق عليه اسم: فونيم Phoneme= وحدة صوتية/ عائلة صوتية، وفي إمكاننا نحن أن نطلق عليه اسم (حرف) مقصودا به الرمز الكتابي».[11]

من خلال كلّ هذه التعريفات التي أتينا على ذكرها يمكن أن نتساءل: هل أنّ "الفونيم" ـ فعلا ـ وحدة قابلة للتجزئة إلى وحدات أصغر منها؟ وبما أنّ "الفونيم" ليس له دلالة في ذاته، ومع ذلك فهو قادر على تغيير معنى "المونيم" (الكلمة). فماذا لو استبدلنا ـ إذن ـ فونيما بفونيم آخر، ولم يُؤَدِّ هذا الاستبدال إلى تغيير في المعنى؟ ثمّ هل أنّ تغيير معنى المونيمات متوقف فقط على تغيير صوت بصوت آخر؟ وهل أنّ "الفونيمات" قاصرة على الصوامت دون الحركات (الصوائت)؟ أم تشملهما معا؟

هذا وسنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها تبعا فيما سيأتي من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

2 ـ الفونيم: أهو قابل للتجزئة أم لا؟

تعدّ مسألة قابلية "الفونيم" للتجزئة من عدمها، من بين الإشكالات التي وقف عليها علماء اللغة، فمنهم من قال: بأنّ "الفونيم" قابل للتجزئة إلى وحدات أصغر، ومنهم من رفض هذا الكلام، وقال: بأنّ "الفونيم" هو في أصله أصغر وحدة في اللغة، فكيف إذن يتمّ تجزئة الوحدة الصغرى إلى وحدات أصغر منها؟!. وكلٌّ له حجّته في مذهبه واتّجاهه، فها هو "ماريو باي" مثلا يؤكّد على قابلية الفونيم للتحليل والتجزئة إلى وحدات ألفونية، حيث تشكّل هذه التنوعات الصوتية المتشابهة وحدة الفونيم، وعليها «يتوقّف استعمال كلّ منها أساسا على موقعه في الكلمة (أولا ـ وسطا ـ آخرا ...الخ)، وعلى الأصوات المجاورة له (قبل علّة، قبل ساكن، بين علّتين، ملاصق لصوت مجهور أو مهموس ...الخ».[12]

فالنون الساكنة مثلا هي عبارة عن فونيم، له صورا نطقيا كثيرة تظهر كلّ واحدة منها في موقع معيّن، فهي قبل الثاء مثلا تنطق أسنانية، وقبل القاف تنطق لهوية وهكذا دواليك تتعدّد صورها النطقية تبعا للصوت الذي يليها، فالنون الأسنانية واللهوية تنوعين لوحدة صوتية واحدة.

وإلى نقيض ذلك تماما يذهب "رومان جاكبسون"، حيث يقول: «إنّ الفونيم غير قابل للتجزئة كما يعتقد البعض، فهو كيان معقّد[*]، فليس الفونيم؛ بل كلّ سمة من سماته المتميّزة لا يمكن اختزالها في كيان تقابلي خالص، إذ تتموضع كلّ إشارة لغوية على محورين: محور التزامن ومحور التعاقب، والفونيم هو الكيان اللغوي الأصغر الذي يتوزّع على هذين المحورين»،[13]، ويشاطره في هذا الرأي "عبد القادر عبد الجليل" الذي يرى هو الآخر بأنّ "الفونيم" «أصغر وحدة صوتية غير قابلة للتجزئة، فلو أخذنا لفظة "جالس" نرى أنّها تتكوّن من: ج ا ل س، وهذه وحدات صوتية غير قابلة للتجزئة، ويسمّى كلّ واحد منها "فونيم"».[14]

يبدو جليا من خلال ما سبق ذكره أنّ "الفونيم" وحدة اللغة الصغرى، ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال تقسيمها إلى ما هو أصغر منها؛ فهو الجزء الذي لا يتجزأ، لأنّه كلّما اجتمع أكثر من فونيم تشكّل ما يعرف بـ "الحرف". أمّا "المونيم" فهو القابل للتجزئة إلى وحدات أصغر وهي "الفونيمات" لكونه حامل للمعنى، فما لا دلالة له في ذاته غير قابل للتجزئة.

ذكرنا فيما سبق أنّ "الفونيم" ذو وظيفة تميزية، ولكن إذا تمّ تعويض أو إحلال صوت محلّ صوت آخر، ولم ينشأ عن ذلك التعويض أيّ تغيّر في المعنى، لا يسمّى ذلك الصوت حينها "فونيما"، بل هو بدل منه وعوض عنه وهذا ما يسمّه علماء الأصوات بـ: "ألوفون"، ممّا يعني أنّ "الفونيم" صوت ولكن ليس كلّ صوت بفونيم. وفي هذا الصدد يقول "ماريو باي": «أنّه لو حدث ووضعنا صوتين أحدهما مكان الآخر في كلمة ما، مع الاحتفاظ بباقي الحروف، فإذا حدث ووُجِد اختلاف في المعنى فهما فونيمان، وإذا لم يحدث أيّ اختلاف في المعنى نتيجة هذا التغيّر فهما فونان لفونيم واحد».[15]

إذن، فالفرق بين "الفونيم" و"الألفون" والذي يمثّل التأديات الصوتية المختلفة للفونيم الواحد، دون أن تؤدّي هذه التأديات أو الصور النطقية المختلفة أو الاستعمالات المتباينة إلى تغيير في الدلالة، فرق واضح وجليّ. ونستطيع أن نضرب مثالا على ذلك من خلال التأديات المختلفة للهجات التي تنتمي إلى لسان واحد، أو إلى بقعة جغرافية واحدة، فعلى سبيل المثال صوت "القاف" في دولة الجزائر، يتمّ تأديته بصور نطقية متباينة بحيث ينطق "ألفا" في تلمسان، "ڤالا" في قسنطينة وسطيف، "غينا" في الجلفة، و"كافا" أو ما شابهها في جيجل وما جاورها، ...الخ، دون أن يكون لهذه الصور النطقية المختلفة أيّ تأثير على تغيّر معنى الكلمات، إذن فالفونيم هو: «الوحدة الصوتية التي تتألّف من أصوات جزئية تسمّى الألفونات أو التنوعات الفونيمية، حيث يمثّل الفونيم المفرد نوعا يجمع تحته أفراد أسرته».[16]

3 ـ مستويات الفونيم:

يتموضع الفونيم على مستويين اثنين، أحدهما ذهني مثالي، وتتأتّى مثاليته من كونه المعيار الذهني المجرّد الذي يترجمه أبناء اللغة أو اللهجة في نطقهم، والآخر مادي عملي ذو وجهين متلازمين؛ فوجه يتمثّل في النشاطات النطقية العضوية، وما يترتّب عليها من تعين موضع أصلي للنطق، وتحديد صفات أساسية للصوت كالاحتكاك أو التوقّف أو غيرهما من الصفات، ووجه آخر فيزيائي يتمثّل في موجات الصوت وما يترتّب على ذلك من آثار سمعية مختلفة كالشّدة والعلو والضغط والزمن، ومستويات التردّد المختلفة كالتردّد الأساسي والأوّل والثاني.[17]

للفونيم إذن مستويان اثنان؛ الأوّل "عقلي" يتمثّل في إدراك دلالة الصوت في الذهن، والآخر مادي ذو وجهين اثنين: فسيولوجي (عضوي)، وآخر فيزيائي (الذبذبات والموجات الصوتية)، والذي يتحوّل بفضل السمع إلى المستوى العقلي الأوّل، بعد ترجمة هذه الذبذبات الصوتية في الدماغ.

4 ـ وظيفة الفونيم:

يؤدّي الفونيم وظيفتين: إحداهما إيجابية، والأخرى سلبية، أمّا الإيجابية فهي: «ممّا يساعد على تحديد المعنى في الكلمة التي يحتوى عليها الصوتيم، والسلبية هي التي تحتفظ بالفرق بين هذه الكلمة والكلمات الأخرى، فالتاء في تاب صوتيم (فونيم) تشترك مع الصوتيمات الأخرى في تلك الكلمة لتحديد المعنى، وهذه وظيفتها الإيجابية، وإذا أَبْدَلْتَ هذا الصوتيم صوتيما آخر، فإنّ المعنى يتغيّر حتما مثل: عاب وتاب وباب، ويجعل الكلمة الأولى مختلفة في معناها عن معاني الكلمات الأخرى، وهذه وظيفتها السلبية».[18]

وعليه، فالفونيم حينما يشترك مع غيره من الفونيمات في تشكيل معنى مونيم ما؛ بحيث لا يؤدّي هذا المونيم معنى دونه، فهو بهذا قد أدّى وظيفة إيجابية، أمّا إذا أحللنا محلّه فونيما آخر مضادا ومخالفا له، وأدّى هذا الإحلال إلى تغيّر في المعنى، نقول عن الفونيم في هذه الحالة إنّ وظيفته سلبية.

أشار القول السابق إلى وظيفة "الفونيم" حينما يكون صامتا، بيد أنّ هذه الوظيفة لا تقتصر على الصوامت فحسب، بل تتعدّها إلى الصوائت كذلك؛ فالحركات سواء أكانت طويلة أم قصيرة لها دور بارز هي الأخرى في التمييز بين معاني الكلمات، فكلمة: بُر مثلا بضمّ الباء تختلف عن كلمة بَر بالفتح وتختلف عن: بِر بالكسر، فالأولى تعني القمح، والثانية تدلّ على اليابسة، أمّا الثالثة فتحيل على معنى الطاعة والعمل الصّالح، وما يقال عن الحركات القصيرة ينطبق كذلك على الحركات الطويلة؛ فـ: "قال" مثلا يختلف معناها هي الأخرى عن "قيل" وهلمّ جرا. كما تعدّ كذلك "علامات الترقيم" في اللغة المكتوبة شأنها في ذلك شأن التنغيم (فونيم فوق قطعي) مثلا في اللغة المنطوقة فونيمات لها دخل في تغيير معنى العبارات من إخبار إلى استفهام إلى تقرير إلى تعجّب، ...الخ، ففي الجملة من مثل: الجو ممطر، تختلف عن جملة: الجو ممطر؟، وتختلف هذه الجملة بدورها عن جملة: الجو ممطر!

نلاحظ أنّ مكونات الجمل الثلاث واحدة، إلاّ أنّ النبرة أو النغمة الصوتية عند نطقنا لهذه الجمل جعلها تختلف فيما بينها، وعلامات الترقيم التي وضعناها في نهاية كلّ جملة تبيّن الاختلاف فيما بينها، وهناك اختلاف بين الجمل الاستفهامية التي تكون إجابتها باستخدام: نعم أو لا أو بلى.

5 ـ أقسام وأنواع الصواتم (الفونيمات) في اللغة العربية:

تنقسم "الفونيمات" في اللغة العربية إلى قسمين: الفونيمات التركيبية أو القطعية، والفونيمات غير التركيبية أو فوق القطعية على اختلاف المصطلحات والتسميات، وفيما يلي بيان لكلا القسمين:

1 ـ فونيمات رئيسية أو تركيبية:

يُقصد بها: «الوحدة الصوتية التي تكون جزءًا أساسيا من الكلمات المفردة، وذلك كالباء والتاء والثاء، وكذلك حركات الإعراب الطويلة والقصيرة».[19]، أو هي: «أصغر وحدة صوتية متمثلة في أحد الصوامت أو الصوائت التي نتلفظها».[20]

يتّضح من خلال هذين التعريفين أنّ "الفونيم" إنّما سمّي تركيبيان لأنّه يتدخّل في تركيب الكلمة المفردة ويكون جزءًا منها، كما يشيران كذلك إلى أنّ الفونيمات التركيبية ليست قاصرة على الصوامت فحسب، بل تتعدّها إلى الصوائت كذلك، كما يمكن أن يُفهم من خلال هذين التعريفين أيضا أنّ الصفات الصوتية بنوعيها (اللازمة بنوعيها: المتضادة وغير المتضادة، والعارضة) تعدّ من الفونيمات التركيبية أو بتعبير آخر ظاهرة قطعية؛ مادام أنّ الصفة الصوتية جزءٌ لا يتجزّأ من الصوت اللغوي لثبوتها فيه، فالصفات اللازمة غالبا ما تكون قاصرة على الصوامت مثل الجهر، الاستفال، الانحراف، ...حال إفرادها عموما، في حين تكون الصفات العرضية في الصوامت والصوائت على حدّ سواء، لكن حال التركيب في الغالب، سواء أكان ذلك التركيب صامتا مع صامت آخر نحو: أحكام النون الساكنة والتنوين، أم صامتا مع صائت كما هو الحال مثلا مع أحكام التفخيم والترقيق في أغلب حالاته.

تتألّف اللغة العربية من أربعة وثلاثين فونيما تركيبيا موزّعة على النحو التالي:[21]

1 ـ ثلاثة فونيمات للصوائت القصيرة: الفتحة والكسرة والضمّة.

2 ـ ثلاثة فونيمات للصوائت الطويلة: الفتحة الطويلة (الألف)، الكسرة الطويلة (الياء) والضمّة الطويلة (الواو).

3 ـ فونيمان لأنصاف الصوائت: الواو والياء.

4 ـ ستّة وعشرون فونيما للصوامت وهي: حروف الهجاء.

2 ـ فونيمات ثانوية أو فوق تركيبية:

وهي «ظاهرة أو صفة صوتية ذات مغزى في الكلام ـ بعكس الرئيسية ـ فهي لا تكون جزءًا من تركيب الكلمة، وإنّما تظهر وتُلَاحَظ فقط حين تُضَمّ كلمة إلى أخرى، أو حين تُسْتَعْمَل الكلمة الواحدة بصورة خاصّة ومن أمثلتها: المقطع والنبر والتنغيم».[22]

وسمّيت "فوق تركيبية" لأنّها لا تتدخّل في تركيب الكلمة المفردة، كما هو الحال مع النوع الأوّل، وإنّما تتجلّى من خلال ضمّ كلمة إلى أخرى مثلها أو أكثر، وغالبا ما يرتبط هذا الضرب بالتأديات النطقية والممارسات الكلامية، لأجل ذلك أطلق على هذا النوع أيضا بالتنوعات اللغوية أو السياقية.

هناك من فضّل استعمال مصطلح "فوق القطعية" للدلالة على هذا النوع من الظواهر الصوتية، يقول: "أحمد مومن" في هذا الإطار: «الفونيم الفوقطعي هو فونيم يزامن أحيانا الفونيم القطعي، وقد يكون نبرة أو نغما أو فاصلا، ويطلق عليه أيضا الفونيم الثانوي أو البروسوديم»[23]، ويقول "منصور الغامدي" في شرح المصطلح: «مصطلح يدلّ على الخصائص الصوتية التي تتجاوز الصوت نفسه».[24]

فالنبر والتنغيم مثلا فونيمان فوق قطعيان؛ لا يتدخّلان ـ كما أسلفنا ـ في تشكيل الصوت في حدّ ذاته، كما هو الحال مع الصوامت والصوائت، بل أنّ دورهما يكمن أساسا في إعطاء الصوت تلوّنا معيّنا، إذن فهذا النوع من الظواهر لا تظهر في الكتابة، وإنّما تظهر من خلال الأداء والكلام (الاستعمال اللغوي).

نخلص في النهاية إلى التأكيد بأنّ "للفونيم" وظائف عدّة، وأبرزها **الوظيفة التمييزية**، ولكن هذه الوظيفة لا يمكن "للفونيم" وهو على أصله في التجرّد أن يقوم بها، فلا بدّ له أن يكون مجاورا لغيره سواء أكان هذا الأخير صامتا (صوتا/حرفا)، أم صائتا (حركة قصيرة/طويلة). كما لا بدّ من الإشارة إلى أنّ "الفونيم" قد يؤدي هذه الوظيفة ليس فقط من خلال استبدال "فونيم" بـ "فونيم" آخر (صوتا أو حركة)، وإنّما يؤديها أيضا حينما تتبادل الفونيمات مواقعها داخل بنية الكلمة الواحدة، فكلمة "دلو" وكلمة "ولد" كلاهما يتشكّلان من نفس الصواتم، بيد أنّهما يحملان دلالتين مختلفتين ويرجع هذا الاختلاف إلى تبادل الصواتم المشكلة للكلمتين السابقتين مواقعها فيهما.

6 ـ نماذج عن الوظيفة التمييزية للفونيم في العربية:

1 ـ على مستوى الصوامت:

أ/ من خلال استبدال فونيم (الصامت) بفونيم آخر (صامت آخر) على مستوى المونيم المفرد:

يؤدّي الفونيم وظيفته التمييزية هنا من خلال إقامة صامت محل صامت آخر، سواءً أتمّ الاحتفاظ بحركته نفسها أم تغييرها بحركة أخرى، ويمكن أن نستدلّ على ذلك بالنماذج التالية:

* **الخُشُوعُ والخُضُوعُ**: ورد في معجم "لسان العرب" في تفسير مادة "خَشَعَ": «خَشَعَ يَخْشَعُ خُشُوعًا واخْتَشَعَ وتَخَشَّعَ: رمى ببصره نحو الأرض، وغَضَّهُ وخَفَضَ صوته (...) والخُشُوعُ في الصوت والبصر كالخضوع في البدن (...) والتَخَشُّعُ: نحو التضرّع، والخُشُوعُ: الخُضُوع ...».[25]

وقوله في تفسير مادة "خَضَعَ": «الخُضُوع: التواضع والتَطَامُنُ، خَضَعَ يَخْضَعُ خَضْعًا وخُضُوعًا واخْتَضَعَ: ذلَّ ...».[26]

* **الخَضْمُ والقَضْمُ**: يقول "ابن جنّي" في بيان معنى الكلمتين الناتج أساسا من استبدال فونيم "الخاء" بفونيم "القاف": «من ذلك قولهم: خَضَمَ وقَضَمَ. فالخَضْمُ لأكل الرّطب؛ كالبِطّيخ والقِثّاء وما كان نحوهما من المأكول الرّطب. والقَضْمُ للصلّب اليابس؛ نحو قَضِمَتْ الدابّة شعيرها، ونحو ذلك. وفي الخبز "قد يُدْرَكُ الخَضْمُ بالقَضْمِ" أي قد يُدْرَك الرخاء بالشدّة، واللين بالشَّظَف. وعليه قول أبي الدرداء: (يَخْضِمون ونقْضِم والموعد الله) فاختاروا الخاء لرخاوتها للرّطْب، والقاف لصلابتها لليابس؛ حَذْوًا لمسموعِ الأصوات على محسوسِ الأحداث».[27]

* **الرُّؤْيَا والرُّؤْيَةُ**: جاء في المعجم الوسيط: «الرُّؤْيَا ما يُرَى في النوم (ج) رُؤًى، والرُّؤْيَةُ: إبصار هلال رمضان لأوّل ليلة منه».[28]

* **القَصْمُ والفَصْمُ**: يقول "ابن منظور" في "اللسان": «الفَصْمُ: الكسر من غير بينونة، فَصَمَهُ يَفْصِمُهُ فَصْمًا فانْفَصَمَ: كسره من غير أن يبيّن ...»[29]. ويقول في مادة "قَصَمَ": «القَصْمُ: دقُّ الشيء، يقال للظالم: قَصَمَ الله ظهره(...) القَصْمُ: كسر الشيء الشديد حتى يبين. قَصَمَهُ يَقْصِمُهُ قَصْمًا فانْقَصَمَ وتَقَصَّمَ: كسره كسرا فيه بينونة ...».[30]

ويمكن توضيح الفرق الدلالي بين لفظتي: القَصْمُ والفَصْمُ أكثر من خلال الآيتين التاليتين: قال الله تعالى: ﴿**وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ**﴾ [سورة الأنبياء، الآية: 11].

في هذه الآية إشارة واضحة إلى شدّة عذاب الله تعالى للقرى بما فيها ومن فيها، بسبب ظلم أهلها وكفرهم؛ ذلك أنّ الظلم في أصله ما هو إلاّ وضع الشيء في غير موضعه، وهم وضعوا الكفر موضع الإيمان، حيث تصوّر لنا لفظة "القصم" لما تحمله من دلالات مشحونة بالقوّة والصلابة حالة هلاكهم ودمارهم وشدّة عذابهم، خاصّة وأنّ "القصم" أبلغ من الكسر، والقاف فيه ـ وهو صوت انفجاري ـ سر عجيب يتناسب مع كلّ المعاني التي تحمل دلالات القوّة والشدّة كالمحق والعنف، والتحطيم والفناء، والتدمير والهلاك وغيرها، وفي هذا السياق يقول الإمام "الزّمخشري" في تفسير الآية الكريمة: «واردة عن غضب شديد، ومُنَادِيَةٌ على سخطٍ عظيمٍ، لأنّ القَصْم أفضع الكسر، الذي يبيّن تلاؤم الأجزاء بخلاف الفصم».[31]

ولمّا كان صوت "الفاء" مخالفا فسيولوجيا ودلاليا لصوت القاف لما يتميّز به من رخاوة وليونة، فقد جاء في سياق مختلف عن السياق الذي وردت فيه لفظة القصم، يقول المولى عزّ وجلّ في محكم تنزيله: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدّينَ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [سورة البقرة، الآية: 256].

نلحظ أنّ الله تعالى في هذه الآية قد استعمل لفظ الفصم وليس لفظ القصم، لأنّ السياق يستدعي ذلك ويتطلّبه؛ ذلك أنّ الفصم أقلّ وأخفّ كسرا من القصم، ولعلّ هذا ما يؤكّده "أبو هلال العسكري" في معرض حديثه عن هذه الآية قائلا: «ولم يقل لا انقصام لها، لأنّ الانفصام أبلغ فيما أُرِيدَ به هاهنا، وذلك أنّه إذا لم يكن لها انفصام كان أحرى أن لا يكون لها انقسام».[32]

* **القَدُّ والقَطُّ**: يقول "ابن جنّي" في كتاب "الخصائص" باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني": «ومن ذلك القَدُّ طولا، والقَطُّ عرضا، وذلك أنّ الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعًا له من الدال، فجعلوا الطاء المناجِزة لقطع العَرْضِ؛ لقربه وسرعته، والدال الماطِلة لما طال من الأثر، وهو قطعه طولا».[33]

وعليه فالقَدُّ للقطع طولا، أمّا القَطُّ فللقطع عرضًا.

* **النَضْخُ والنَضْخُ**: يفرّق "ابن جنّي" بين الكلمتين قائلا: «النَضْخُ للماء ونحوه، والنَضْخُ أقوى من النَضْحِ؛ قال الله سبحانه: ﴿**فِيهِمَا عَيْنَانِ نضَّاخَتَانِ**﴾ [سورة الرحمن، الآية: 66] فجعلوا الحاء ـ لرقّتها ـ للماء الضعيف، والخَاء ـ لغِلَضها ـ لما هو أقوى منه».[34]

* **الوَسِيلَةُ والوَصِيلَةُ**: يقول "ابن جنيّ": «ومن ذلك قولهم: الوَسِيلَة والوَصِيلَة، والصاد ـ كما ترى ـ أقوى صوتا من السين؛ لما فيها من الاستعلاء، والوَصِيلَة أقوى معنًى من الوَسِيلَة، وذلك أنّ التوسّل ليست له عِصْمة الوصل والصلة؛ بل الصلة أصلها من اتّصال الشيء بالشيء، ومماسّته له، وكونه في أكثر الأحوال بعضًا له، كاتّصال الأعضاء بالإنسان، وهي أبعاضه ونحو ذلك، والتوسّل معنى يضعف ويصغر أن يكون المتوسّل جزءًا أو كالجزء من المتوسَّل إليه، وهذا واضح، فجعلوا الصاد لقوّتها للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف».[35]

ب/ من خلال تغيير موقع الفونيم (الصامت) على مستوى المونيم الواحد:

كما يمكن للفونيم أن يؤدي وظيفته التميزية بين المعاني أيضا، ليس من خلال إحلال صوت صامت محلّ صوت صامت آخر، بل من خلال تغير مواقع الصوامت داخل المونيمات؛ أي تغير ترتيب الحروف داخل الكلمة كما يلي:

* **البَتْكُ والكَبْتُ**: يقول "الخليل بن أحمد الفراهيدي" في مادة "بَتَكَ": «قَبْضُكَ على الشيء، على شعر أو ريش أو نحو ذلك، ثمّ تَجْذِبُهُ إليك فَيَنْبَتِكُ من أصله، أي ينقطع ويَنْتَتِف (...) والبَتْكُ: قطعُ الأذن من أصلها ...»[36]، ويقول في مادة "كَبَتَ": «الكَبْتُ: صَرْعُ الشيء لوجهه، كَبَتَهُمُ الله فانْكَبَتُوا، أي: لم يظفروا بخير، وكَبَتَ الله أعداءَكَ، أي غَاظَهُمْ وأَذَلَّهُمْ، والاسم الكُبَاتُ».[37]

* **الخَسْفُ والسُّخْفُ**: جاء في معجم العين لـ"الفراهيدي": «الخَسْفُ: سُؤُوخ الأرض بما عليها من الأشياء (...) انْخَسَفَتْ به الأرض، وخَسَفَهَا الله به، وعين خَاسِفَةٌ: فُقِئَتْ وغابت حدقتها (...) والخَسْفُ: تَحْمِيلُكَ إنسانا ما يكره، والخَسَفُ: الجَوْزُ ...».[38]، أمّا السُّخْفُ فهو: «رقّة العقل (...) ورجل سَخِيفٌ: بيّن السُّخْفِ (...)، وثوب سَخِيفٌ: رقيق النَّسْجِ ...».[39]

* **السَّنَمُ والنَّمْسُ**: يقول "الخليل بن أحمد الفراهيدي" في تفسير الكلمتين مميّزا بينهما: «السَّنَمُ: رأس شجرة من دقِّ الشجر على رأسها شبه ما يكون على رأس القصب، إلاّ أنّه لَيِّنٌ تأكله الإبل أكلا خَضْمًا ...»[40]، وقال: «النَّمْسُ: سَبُعٌ من أخبث السِّبَاعِ، ونِمْسٌ من الرّجال، خبيث منهم، والنَّمْسُ: دواب سودٌ الواحدة نِمْسَةٌ ...».[41]

* **القَمْحُ والمَحْقُ**: يقول صاحب معجم "العين": «القَمْحُ: البُرُّ، وأَقْمَحَ البُرُّ: جرى الدقيق في السُّنْبُلِ ...»[42]، أمّا المَحْقُ فيقول فيه: «مَحَقَهُ الله فَانْمَحَقَ وامْتَحَقَ: أي ذهب خيرُه وبَرَكَتُه ونَقَصَ (...) والمُحَاقُ: آخر الشهر إذا انْمَحَقَ الهلال فلم يُرَ ...».[43]

* **اللَّسْعُ واللَّعَسُ**: جاء في معجم "العين": «اللّسْعُ للعقرب تَلْسَعُ بالحُمَةِ، والحيّة تَلْسَعُ أيضا (...) ولَسَعَ فلانٌ فلانًا بلسانه، أي قَرَصَهُ ...».[44]، و«اللَّعَسُ: لَعْسَة وهو سواد يعلو الشّفة للمرأة البيضاء (...) ورجل مُتَلَعِّس: شديد الأكل ...».[45]

* **اللَّعْنُ والنَّعْلُ**: يقول "الفراهيدي": «اللّعْنُ: التّعذِيب، والمُلَعَّنُ: المُعَذَّبُ، واللّعِينُ: المَشْتُوم المَسْبُوبُ، لَعَنْتُهُ سَبَبْتُهُ ولَعَنَهُ الله: بَاعَدَهُ (...) واللَّعْنَةُ في القرآن: العذابُ ...».[46]، ويقول أيضا في موضع آخر: «النَّعْلُ: ما جُعِلَتْ وقاية من الأرض (...) ورجل نَاعِلٌ: ذو خَفٍّ ونَعْلٍ ...».[47]

2 ـ على مستوى الصوائت (الحركات):

وردت في لغتنا العربية عدّة كلمات مثلّثة الشكل، يختلف معناها تبعا لشكلها، وسنحاول فيما يلي إبراز ذلك من خلال النماذج التالية:

* **الإِنْسُ والأَنَسُ والأُنْسُ**: ورد في معجم "لسان العرب" في تفسير مادة "أَنَسَ" فصل الهمزة باب السين: «الإِنْسُ: جماعة النّاس، والجمع: أُنَاسٌ (...) والأَنَسُ بالتحريك: الحيّ المقيمون، والأَنَسُ أيضا: لغة في الإنس (...) والأَنَسُ: خلاف الوَحْشَةِ(...) والإِنْسُ: البشر، الواحد إِنْسِيٌّ وأَنْسِيٌّ أيضا

بالتحريك، ويقال: أَنَسٌ وأُنَاسٌ كثير (...) والأُنْسُ وهو ضدّ الوحشة، الأُنْسُ بالضمّ، وقد جاء فيه الكسر قليلا(...) والأُنْسُ: حديث النساء ومُؤَانَسَتُهُنَّ ...».[48]

* **البَحْرُ والبَحَرُ**: يقول "إسماعيل بن حمّاد الجوهري" في تفسير مادة "بَحَرَ" فصل الباء باب الراء: «البَحْرُ: خلاف البَرّ. يُقال: سُبِّي بَحْرًا لعمقه واتساعه (...) وكلّ نَهْرٍ عظيمٍ بَحْرٌ (...) والبَحْرُ: عُمقُ الرَحِمِ (...)، قال الأصمعي بَحَرَ الرجل بالكسر يَبْحَرُ بَحَرًا: إذا تَحَيَّرَ من الفَزَعِ، ويقال أيضا بَحِرَ: إذا اشتدّ عطشه فلم يرو من الماء، والبَحَرُ أيضا: داء في الإبل ...».[49]

إذن، البَحْرُ بفتح الباء وسكون الحاء: الماء الواسع الكثير، وبفتحتين: السُّلُّ وداءٌ يُسبّب شدّة الظمأ.

* **البَرْدُ والبُرْدُ والبَرَدُ**: يشرح "ابن منظور" هذه المواد الثلاث كما يلي: «البَرْدُ: ضدّ الحرّ، والبُرُودَةُ: نقيض الحرارة (...) والبَرَدُ: سحاب كالجَمَدِ، سمّي بذلك لشدّة بَرْدِهِ (...) والبَرَدُ: حَبُّ الغمام، تقول منه: بَرُدَتِ الأرض وبُرِدَ القوم: أصابهم البَرَدُ، وأرض مَبْرُودَةٌ كذلك (...) والبُرْدُ: ثوب فيه خطوط وخَصَّ بعضهم به الوشي (...)، وأمّا البُرْدَةُ فكساء مربع أسود فيه صغر تلبسه الأعراب ...».[50]

وعلى هذا الأساس، فالبَرْدُ بفتح الباء: نَزْلَةٌ تصيب أغشية الجهاز التنفسي المخّاطية، والبُرْدُ بضمّ الباء: كساء مخطّط يُلّتَفّ به (البُرْدَة)، وبفتح الباء والراء معا: الماء الجامد الذي ينزل من السحاب قِطعا صغيرة.

* **البِرْكَةُ والبَرَكَةُ والبُرْكَةُ**: جاء في "الصّحاح": «... والبِرْكَةُ أيضا كالحوض، والجمع البِرَكُ، ويقال سُمّيت بذلك لإقامة الماء فيه (...) والبَرَكَةُ: النّماء والزّيادة (...) والبُرْكَةُ بالضمّ: طائر من طير الماء أبيض، والجمع بُرَكٌ ...».[51]

ومنه فالبَرَكَة بفتحتين: النماء والزّيادة، وبكسر الباء وسكون الراء: مستنقع الماء، أمّا بضمّ الباء وسكون الراء فطائر مائي من الفصيلة الوزّية.

* **الجَدُّ والجِدُّ والجُدُّ**: يميّز "الجوهري" بين المعاني اللغوية لهذه المواد، وذلك في سياق تفسيره لمادة "جَدَدَ" فصل الجيم باب الدال، فيقول: «الجَدُّ: أبو الأب وأبو الأمّ، والجَدُّ: الحظّ والبَخْتُ، والجمع: الجُدُودُ (...)، والجِدُّ: نقيض الهزل (...) والجِدُّ: الاجتهاد في الأمور (...) والجُدُّ بالضمّ: البئر التي تكون في موضعٍ كثير الكلأ (...) وجُدَّة: بلد على الساحل ...».[52]

إذن، الجَدُّ بفتح الجيم تعني: أبو الأب والأمّ، وكذا الحظّ والرزق، وبكسرها: الاجتهاد والمثابرة في العمل، وبضمّها: البئر وشاطئ النهر.

* **الجُرْمُ والجَرْمُ والجِرْمُ**: يقول "الجوهري" في صحاحه: «الجُرْمُ: الذَنْبُ، والجريمة مثله (...) والجَرْمُ: الحَرُّ (...) والجَرْمُ: القطع (...) والجِرْمُ بالكسرِ: الجَسَدُ، والجِرْمُ: اللون، والجِرْمُ: الصوت...»[53].

* **الجَلُّ والجُلُّ والجِلُّ**: جاء في معجم "الوسيط": «الجَلُّ: ما تُغَطَّى به الدَّابَةُ لتصان (ج) جِلَالٌ وأَجْلَالٌ (...) الجُلُّ من كلّ شيء: مُعظَمه (...) الجِلُّ: الكبير خلاف الدِّقّ ...»،[54]

* **الجَنَّةُ والجُنَّةُ والجِنَّةُ**: يفسّر "ابن منظور" مادة "جَنَنَ" مبيّنا الفرق بين معاني المواد الثلاث السابقة قائلا: «... الجُنَّةُ بالضمّ: ما واراك من السّلاح واستترت به منه، والجُنَّةُ: السُّتْرة، والجمع: الجُنَنُ (...) والجُنَّةُ: الدّرعُ (...) والجُنَّةُ: الوقاية (...) والجِنَّةُ: طائف الجنّ خلاف الإنس (...) الجِنَّةُ بالكسر: الجُنُون (...) والجَنَّةُ: الحديقة ذات الشجر والنخل وجمعها جِنَان (...) والجَنَّةُ هي دار النّعيم في الدار الآخرة، من الاجْتِنَان وهو السِّتْرُ لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها...»،[55]

بناء على ما سبق فالجَنَّةُ بفتح الجيم هي دار النعيم في الآخرة، بالضمّ: السُترة والوقاية، وهي بالكسر: طائفة من الجنّ.

* **الحَبُّ والحُبُّ والحِبُّ**: جاء في تفسير مادة "حَبَبَ": «الحُبُّ: نقيض البُغْضِ، والحُبُّ: الوداد والمحبَّةُ (...) والحِبُّ: الحَبِيبُ (...) والحِبُّ: المَحْبُوبُ (...) والحَبُّ: الزرع صغيرا كان أو كبيرا، واحدته حَبَّةٌ ...»،[56]

وعليه، فالحَبُّ بفتح الحاء: ما يكون في السنبل والأكمام كالقمح والشعير ونحوهما، والحُبُّ بضمّ الحاء: الوِداد والمَحَبَّة، أمّا بكسرها: المُحِبُّ المَحْبُوب.

* **الحَسَبُ والحَسْبُ**: يقول "ابن منظور" في "لسان العرب": «...الحَسَبُ: الكَرَمُ، والحَسَبُ: الشَّرف الثابت في الآباء (...) والحَسَبُ: ما يَعُدُّه الإنسان من مفاخر آبائه (...) والحَسَبُ: الدّين (...) والحَسْبُ مجزوم: بمعنى كفى؛ قال سيبويه وأمّا حَسْبُ فمعناها الاكتفاء ...»،[57]

* **الحَلُّ والحِلُّ والحُلُّ**: جاء في كتاب "المثلّث" ما يلي: «الحَلُّ بالفتح: ضدّ العَقْدِ، والحَلُّ أيضا: وجوب الحقّ، والحَلُّ: الشَّيْرَجُ. والحِلُّ بالكسر: الحلال، والحِلُّ أيضا: ما خرج عن أرض مكّة، ويقال: حِلاً بمعنى كَلاَّ. والحُلُّ بالضمّ: جمع الأَحَلِّ من الخيل، وهو الذي في قوائمه لينٌ ورخاوة»[58].

* **الحُلُمُ والحِلْمُ والحَلَمُ**: يقول "الجوهري" في صحاحه: «الحُلُمُ بالضمّ: ما يراه النائم (...) والحِلْمُ بالكسر: الأناة (...) والحَلَمُ بالتحريك: أن يَفْسُدَ الإهَابُ في الفَمْلِ ويقع فيه دُودٌ فَيَتَثَقَّبُ ...»،[59]

* **الدَّوَامُ والدِّوَامُ والدُّوَامُ**: جاء في كتاب "المثلّث" في سياق تفسير المواد الثلاث السابقة، وإبراز الخلاف الدلالي بينها كما يلي: «الدَّوَامُ بالفتح: البقاء والاتّصال، الدِّوَامُ بالكسر: مصدر داومته، إذا دمت معه، والدُّوَامُ بالضمّ: الدُّوَارُ الذي يعتري الرأس».[60]

* **الرَّجْسُ والرِّجْسُ**: ورد في معجم "الوسيط": «الرَّجْسُ: الصوت الشّديد، ورَجْسُ البعير: هديره، الرِّجْسُ: القَذَر والشيء القَذِر، والفعل القبيح والحرام واللعنة والكفر والعذاب ...».[61]

وعلى هذا الأساس فإنّ الرَّجْسُ بفتح الراء: قوّة تصاحب الأصوات، وبكسرها: النجاسة والخبث والقبح.

* **السَّحْرُ والسِّحْرُ والسَّحَرُ**: ورد في معجم "مقاييس اللغة" في تفسير مادة "سَحَرَ": «... فالعُضْوُ السَّحْرُ، وهو ما لَصِقَ بالحلقوم والمَرِيء من أعلى البطن (...) وأمّا الثاني فالسِّحْرُ، قال قوم: هو إخراج الباطل في صورة الحقّ (...) وأمّا الوقت فالسَّحَرُ والسُّحْرَةُ، وهو قبل الصُّبْحِ، وجمع السَّحَرِ أَسْحَار...».[62]

* **الضَّرْسُ والضِّرْسُ/ والضَّرَسُ والضَّرِسُ**: يفسّر "ابن منظور" المواد السابقة محدّدا دلالاتها الناتجة عن اختلاف حركة أحد الصوامت كما يلي: «الضِّرْسُ: السِّنُّ (...) والضَّرْسُ: العَضُّ الشديد بالضِّرْسِ، وقد ضَرَسْتُ الرَجُلَ إذا عَضَضْتَهُ بأضراسِك، والضَّرْسُ: أن يَضْرَسَ الإنسان من شيء حامض (...) والضَّرَسُ بالتحريك خَوَرٌ وكَلاَلٌ يصيب الضِّرْسَ أو السِّنَّ عند أكل الشيء الحامض (...) والضَّرَسُ: غضب الجوع (...) الضَّرِسُ: الصَّعْبُ السيئ الخُلُقْ ...».[63]

* **الفَرْقُ والفِرْقُ والفَرَقُ وفَرِقَ**: يقول "ابن منظور" في تفسير مادة "فَرَقَ" فصل الفاء باب القاف: «الفَرْقُ: خلاف الجمع (...) وقيل: فَرَق للإصلاح فَرْقًا وفَرَّق للإفساد تفريقا (...) والفِرْقُ: القِسْمُ والجمع: أَفْرَاق (...) والفِرْق: طائفة من النّاس (...) والفَرْقُ: تفريق ما بين الشيئين حتى يتفرّقان، والفَرْقُ: الفصل بين الشيئين، فَرَق يَفْرُقُ فَرْقًا: فَصَلَ (...) وفَرْق الرأس: ما بين الجبين إلى الدائرة (...) والفَرَقُ: ما انفلق من عمود الصبح لأنّه فارق سواد الليل (...) والفَرَقُ: الصبح نفسه (...) والفِرْقُ بالكسر: القطيع من الغنم والبقر والضباء العظيمُ، وقيل هو ما دون المائة من الغنم (...) والفَرَقُ بالتحريك: الخوف، وفَرِقَ منه بالكسر، فَرَقًا: جَزَعَ (...) والفَرْقُ والفَرَقُ: مكيال ضخم لأهل المدينة معروف ...».[64]

نستنتج من كلّ هذا أنّ الفَرْقُ بفتح الفاء فالسكون: الفاصل بين شيئين، وبكسر الفاء فالسكون: القسم المفروق بفرق، وبفتحتين: الصبح، أمّا لفظة فَرِقَ بمعنى فَزِعَ وخاف، وفَرَقَ بمعنى فَصَلَ.

* **الكُفْرُ والكَفْرُ/ الكَفِرُ والكَفَرُ**: يضع "الجوهري" حدودا دلالية فاصلة بين المواد الأربع السابقة قائلا: «الكُفْرُ: ضدّ الإيمان (...) والكُفْرُ أيضا: جُحود النّعمة، وهو ضدّ الشكر (...) والكَفْرُ بالفتح: التغطية (...) والكَفْرُ أيضا: القرْيَة (...) والكَفْرُ أيضا: القبر (...) والكَفْرُ: ظلمة الليل وسواده (...) والكَفِرُ بكسر الفاء: العظيم من الجِبال (...) والكَفَرُ بفتحها: العقاب من الجِبال ...».[65]

وعليه، فالكُفْرُ خلاف الإيمان ونقيضه، وبفتح الكاف: التغطية، أمّا بكسر الفاء بعد فتح: العظيم من الجبال، وبفتحتين: العقاب من الحبال.

* **المَهْرُ والمُهْرُ**: جاء في تفسير مادة "مَهَرَ" فصل الميم باب الراء ما يلي: «المَهْرُ: الصَدَاقُ (...) والمُهْرُ: ولد الفرس، والجمع أمهارٌ ومِهَارٌ ومِهَارَةٌ، والأنثى مُهْرَةٌ، والجمع مُهَرٌ ومُهَرَاتٌ ...».[66]

* **النَّصَبُ والنُّصُبُ والنَّصِبُ والنَّصْبُ**: جاء في تفسير مادة "نَصَبَ": «النَّصَبُ: الإعياء من العناء(...) والنَّصَبُ: التَّعَبُ (...) والنَّصْبُ والنُّصْبُ والنُّصُب: الداء والبلاء والشرّ (...) والنَّصِبُ: المريض الوَجِعُ، والنَّصْبُ: وَضْعُ الشيء ورَفْعُهُ (...) والنُّصُبُ: كلّ ما نُصِبَ فَجُعِلَ عَلَمًا (...) والنَّصْبُ والنَّصُبُ: العَلَمُ المنصوب (...) والنَّصَبُ والنُّصُبُ: كلّ ما عُبِدَ من دون الله تعالى، والجمع أَنْصَابٌ (...) والنَّصْبُ أوّل السير، ثمّ الدّبيب ثمّ العَنَقُ ثمّ التَّزَيُّدُ، ثمّ العَسْجُ ثمّ الرَّتَكُ ثمّ الوَخْدُ ثمّ الهَمْلَجَةُ ...».[67]

* **النَّكْثُ والنِّكْثُ والنُّكْثُ**: إنّ لاختلاف حركة النون من شأنه أن يحدث اختلافا في المعنى، يبيّنه كتاب "المثلّث" كما يلي: «النَّكْثُ بالفتح: مصدر نَكَثْتُ الشيء: إذا نقضته بعد إبرامه، والنِّكْثُ بالكسر: اسم الشيء المنكوث، والنِّكثُ: اسم رجل، والنُّكْثُ بالضمّ: جمع نُكوثٍ، وهو الكثير النَّكْثِ بعهوده، وما يعقده على نفسه»[68].

خاتمة: في ختام هذه الورقة البحثية نصل إلى استخلاص النتائج التالية:

- الفونيم مصطلح حديث، له أهميته البالغة في إثراء الرصيد المعجمي للغة، والمساهمة في زيادة المعاني والدلالات.
- الفونيم أصغر وحدة لغوية في النظام، تشترك فيها جميع لغات العالم، ليس لها دلالة في ذاتها، ولكنّها قادرة على تغيير المعاني، سواء من خلال استبدال فونيم وتعويضه بفونيم آخر مغاير للأوّل، أو من خلال تغيير مرتبته داخل المونيم، إذن يمكن حصر الوظيفة التمييزية للفونيم في آليتين هما:

ـ **الإبدال الصوتي**: ويتمّ ذلك إمّا: بإبدال فونيم صامت بفونيم صامت آخر على مستوى المونيم الواحد، فيتبع ذلك الاستبدال تغيّر في الدلالة، وإمّا عن طريق إبدال فونيم صائت بآخر صائت على مستوى المونيم الواحد أيضا.

ـ **القلب المكاني**: وذلك في حالة ما إذا تمّ تغيير موضع الفونيم داخل المونيم، سواء بالتقديم أو التأخير.

- للفونيم قسمين رئيسين: صامت وصائت، في المقابل تملك هذه الوحدة الدنيا نوعين هما: الفونيمات الرئيسية (التركيبية)، الفونيمات الثانوية (غير التركيبية).
- الفونيم هو الوحدة الدنيا في اللغة، وهو أصغر من المونيم، فالعلاقة التي تربطهما هي علاقة جزء من كل، كما أنّ للفونيم علاقة عضوية بالألفون، فإذا ما استبدلنا فونيم (صامت/ صائت) بفونيم آخر، وأدّى هذا الاستبدال إلى تغيير في الدلالة، سمّي كلّ واحد منهما فونيما، أمّا إذا لم يؤد ذلك إلى تغيير في المعنى سمّي ألفونا، ثمّ إنّ المقطع الصوتي نوع من أنواع الفونيمات، فهو يندرج ضمن الفونيمات فوق القطعية، والفونيم ما هو إلاّ جزء من المقطع، فهو إمّا أن يكون صامتا (صوتا)، وإمّا أن يكون صائتا (حركة)، أمّا المقطع فلا بدّ أن يشمل الاثنين معا، هذا في أبسط أشكاله؛ أي المقطع القصير (ص ح).

الهوامش والإحالات:

1 - ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، دط، 1979م، ص ص 165، 183.

2- فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، العراق، دط، 1985م، ص58.

3 - المرجع نفسه، ص ص56- 57.

4- رومان ياكوبسون، محاضرات في الصوت والمعنى، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ/1994م ص18.

5- المرجع نفسه، ص143.

6- مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ/ 1998م، ص17.

7- عبد القادر عبد الجليل، التنوعات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1430هـ/ 2009م، ص33.

8- نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، دط، 2006م، ص ص123- 124.

9- حاتم صالح الضّامن، فقه اللغة، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، ط1، 1428هـ /2007م، ص193.

10- ينظر: شفيقة علوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، مؤسسة أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص19.

11- رمضان عبد التوّاب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط3، 1417ه/1997م، ص83.

12 - ماريو باي، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، دب، دط، دس، ص88.

* - لا يقصد "جاكبسون" بمصطلح "التعقّد": التركيب، بل يقصد: اختلاف وجهات وزوايا النظر إلى "الفونيم"، وتلك علّة تعقيده (ينظر تعريفات "الفونيم" من هذا البحث)، هذا فضلا عن ضرورة اجتماع الجانب النطقي والسمعي في تحديد مفهومه (ينظر تعريف: "دي سوسير" له).

13 - رومان ياكوبسون، محاضرات في الصوت والمعنى، ص144.

14 - عبد القادر عبد الجليل، التنوعات اللغوية، ص ص32- 33.

15 - ماريو باي، أسس علم اللغة، ص ص89- 90.

16 - عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1418ه/ 1998م، ص113.

17 - سمير شريف إستيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 1425ه/ 2005م، ص79.

18 - تحسين عبد الرضا الوزّان، الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار دجلة ناشرون وموزّعون، عمان، الأردن ط1، 1432ه/2011م، ص ص282- 283.

19 - نادية رمضان النجّار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، دط، 2004م، ص73.

20- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط3، 1428ه/ 2007م، ص184.

21 - عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1431ه /2011م، ص97.

22 - نادية رمضان النجّار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، ص75.

23 - أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص184.

24 - منصور بن محمّد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، الرياض، السعودية، ط1، 1421ه/ 2001م، ص79.

25 - جمال الدّين أبو الفضل محمّد بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، لسان العرب، ج5، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426ه/2005م، مادة "خَشَعَ".

26 - المصدر نفسه، ج5، مادة "خَضَعَ".

27 - أبو الفتح عثمان بن جنّي، الخصائص، ج1، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424ه/2003م، ص509.

28 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425ه/ 2004م، مادة "رأى".

29 - ابن منظور، لسان العرب، ج7، مادة "قَصَمَ".
30 - المصدر نفسه، ج7، مادة "قَصَمَ".
31 - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزّمخشري الخوارزمي، تفسير الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ/2003م، ص64.
32 - أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: أبو عمرو وعماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، دب، دط، دس، ص157.
33 - ابن جنّي، الخصائص، ج1، ص509.
34 - المصدر نفسه، ج1، ص ن.
35 - نفسه، ج1، ص510.
36 - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ترتيب ومراجعة: داود سلّوم وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، مادة "بَتَكَ".
37 - المصدر نفسه، مادة "كَبَتَ".
38 - نفسه، مادة "خَسَفَ".
39 - نفسه، مادة "سَخِفَ".
40 - نفسه، مادة "سَنِمَ".
41 - نفسه، مادة "نَمَسَ".
42 - نفسه، مادة "قَمَحَ".
43 - نفسه، مادة "مَحَقَ".
44 - نفسه، مادة "لَسَعَ".
45 - نفسه، مادة "لَعَسَ".
46 - نفسه، مادة "لَعَنَ".
47 - نفسه، مادة "نَعَلَ".
48 - ابن منظور، لسان العرب، ج4، مادة "أَنَسَ".
49 - إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990م.
50 - ابن منظور، لسان العرب، ج2، مادة "بَرَدَ".
51 - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج4، مادة "بَرَكَ".
52 - المصدر نفسه، ج2، مادة "جَدَدَ".
53 - نفسه، ج5، مادة "جَرَمَ".
54 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة "جَلَّ".
55 - ابن منظور، لسان العرب، ج7، مادة "جَنَنَ".
56 - المصدر نفسه، ج1، مادة "حَبَبَ".

57 - نفسه، ج1، مادة "حسِبَ".
58 - أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن السيّد البطليوسي، و أبو عبد الله شمس الدّين محمّد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي، المثلّث أو الألفاظ المثلّثة المختلفة المعنى، ويليه المثلّث ذو المعنى الواحد، تح: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2003م، 100.
59 - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج5، مادة "حَلِمَ".
60 - البطليوسي والبعلي، المثلّث أو الألفاظ المثلّثة المختلفة المعنى، ويليه المثلّث ذو المعنى الواحد، ص 161.
61 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة "رَجَسَ".
62 - أبو الحسن أحمد فارس بن زكريا الرّازي، معجم مقاييس اللغة، ج1، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1429هـ/2008م، مادة "سَحَرَ".
63 - ابن منظور، لسان العرب، ج4، مادة "ضَرَسَ".
64 - المصدر نفسه، ج5، مادة "فَرَقَ".
65 - الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج2، مادة "كَفَرَ".
66 - المصدر نفسه، ج2، مادة "مَهَرَ".
67 - ابن منظور، لسان العرب، ج1، مادة "نَصَبَ".
68 - البطليوسي والبعلي، المثلّث أو الألفاظ المثلّثة المختلفة المعنى، ويليه المثلّث ذو المعنى الواحد، ص 263.